المقدمة السالمة في

خوف الخاتمة

للعلامة

الملا

علي بن سلطان محمد الهروي القاري

تم التحقيق

بقسم التحقيق بالدار

دار الصحابة للتراث بطنطا

المقدمة السالمة في

خوف الخاتمة

للعلامة

الملا

علي بن سلطان محمد الهروي القاري

دار الصحابة للتراث بطنطا

لدار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر - والتحقيق - والتوزيع

المراسلات:
طنطا ش المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب: ٤٧٧

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

تقديـــم

إن الحمد لله ..

نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾(*) .

﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾(**) .

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾(***) .

(*) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .

(**) سورة النساء : الآية ١ .

(***) سورة الأحزاب : الآية ٧٠ - ٧١ .

أما بعــد ...

فبين يديك أخى القارئ رسالة قيمة ؛ قد تضمنت موضوعًا شيقاً ، ما أكثر الذين كتبوا فيه ، وتكلموا عنه ، ولكن ما أقل الذين أجادوا عرضه ، وأصابوا الهدف فيه ، ففز بها ، عسى أن تكون باعثاً لك على طاعة الله عز وجل وحائلاً لك عن المعاصى ، ونسأل الله العظيم أن ينفع بها المسلمين ، ويجعلها فى ميزان حسناتنا يوم أن نلقاه ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، والحمد لله رب العالمين .

بين يدى الكتاب

عجيب أمر هذا الإنسان ..!!

تراه فى النعم التى أنعم الله عليه بها ، يلهو ، ويرتع ، ويلعب ، وكأنه لم يخلق إلا ليلهو ويتمتع ، وقد غاب عنه أن تلك النعم ما هى إلا أداة للاختبار ، ووسيلة للوصول إلى تلك الدار الخالدة . بل إذا ذكرته بفناء هذه النعم تراه ينكر عليك ويقول : ﴿ **ما أظن أن تبيد هذه أبداً** ﴾ .

وأعجب من هذا أنه مع غفلته هذه وإعراضه عن الطريق المستقيم وكتاب رب العالمين تراه يتبجح على الله ويقول : ﴿ **لئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلباً** ﴾ .

كيف يتسنى له ذلك ؟! وكيف يحكم لنفسه بأنه سيكون من أهل النعيم ؟!

نعم . من حقه أن يكون راجياً عفو ربه وكرمه ورحمته إذ إن نفى الرجاء يعد قنوطاً ، ولا يقنط من روح الله ورحمته إلا الكافرون ، ولكن للرجاء حدود فإذا تعداها العبد وصل إلى التفريط والتكاسل فى الأعمال ، لذا كان على العبد أن يكون فى عبادته لربه بين الخوف والرجاء .

فالخوف والرجاء بالنسبة للمؤمن كالجناحين بالنسبة للطائر . ولا يغرنَّ العبد صفاء أحواله ، ولا إيمانه ؛ فالقلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء .

فرب مؤمن أصبح بالله كافراً ، ورب كافرٍ أمسى بالله مؤمناً .

وهذا الكتاب الذى بين يديك - أخى القارئ - يعدُّ ردّاً على غلاة الصوفية ، وبالأخص ابن عربى وأتباعه .

فقد زعم أحدهم أن من رآه دخل الجنة ولم يدخل النار ، فكان رد المصنف عليه بأن هذا الزاعم إذا كان لا يملك أن يجزم بموت نفسه على الإيمان ، فكيف يتصور له أن يكون سبباً فى الأمن والأمان لغيره .

ورد المصنف أيضاً على من زعم أن هذا نظير قوله - ﷺ - فى حق أويس القرنى أنه يشفع لهذه الأمة أكثر من ربيعة ومضر وقال بأن كلام الرسول - ﷺ - صدق ، وأخباره حق ، وأما غيره فلا يدرى من أمره شيئاً لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

وإذا زعم زاعم أنه انكشف له هذا الأمر بأن يكون له الشفاعة فى هذا القدر ، وذلك بمقتضى تصوراتهم الكاذبة المبتدعة، فإن المصنف قال : لا اعتبار لمكاشفات الأولياء بحيث يعتمد عليها بالكلية فى الأمور الشرعية ، وذكر المصنف موقف السلف من الشهادة بالجنة وأن لهم ثلاثة أقوال مرضية :

أحدها : وهو منقول عن ابن الحنفية أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء لأنهم معصومون عن الكفر فى الابتداء والانتهاء .

ثانيها : أن يشهد لكل مؤمن جاء نص فى حقه .

ثالثها : أن يشهد لمن شهد له المؤمنون لحديث رسول الله - ﷺ - : « أنتم شهداء الله فى الأرض » وقد رواه البخارى ومسلم .

ومع ذلك فليس لأحد أن يشهد لأحد من أرباب هذه الملة بعدم دخول النار أو وصول الجنة ، وإنما يجوز له أن يشهد بالثناء عليه إن رأى

فيه خيرًا بموجب حسن الظن ، وكذا له أن يشهد بالشر لأحد إذا رأى منه ما يدل على نفاقه أو شاهد فيه بعض الكبائر .

وقد ادعى أحد الجهلة من أرباب الكشف أنه رأى بعض أهله فى النار ، وأنه اجتمع بابن عربى فشطح له أنه – أى المعذب – لم يرنى – أى ابن عربى – .

والجواب عن هذا أنه لا اعتماد على رؤية المنام فى حق غير الأنبياء – عليهم السلام – وحتى لو فرض أن أحداً رأى النبى – ﷺ – وأمره بفعل شىء أو تركه على خلاف قواعد الإسلام فليس له القيام بذلك الأمر بإجماع العلماء الأعلام ، فما بالك بمن رأى ابن عربى فى المنام ، وقال له أشياء تخالف هذا الدين على نحو ما ذكرناه آنفاً .

وإذا كان هذا يطمئن إلى ما يقول فبم نفسر خشية السلف لله عز وجل ، وقد كانوا يبكون ليل نهار خوفاً من عقابه ، أو أن يبدل إيمانهم كفراً .

ألم يعتبر هؤلاء الغفلة بما حدث لبلعام ، وكان يعلم اسم الله الأعظم ، والحاصل أن الأمر مبهم ، والخطر معظم فلا يدرى أحد غير الأنبياء أنه من أى الفريقين فى قوله تعالى : ﴿ **فريق فى الجنة وفريق فى السعير** ﴾ أعاذنا الله من السعير ورزقنا الجنة برحمته إنه هو التواب الرحيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ترجمــة المصنف

اسمه ونسبه :

هو الإمام الجليل الحجة الفقيه الحنفى على بن محمد سلطان الهروى المعروف بنور الدين القارى من صدور العلماء فى عصره ، وقد اختلف فى اسمه ، ففى الأعلام للزركلى ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة ، والفوائد البهية اسمه : « على بن سلطان محمد » ، وفى البدر الطالع للشوكانى على بن سلطان بن محمد ، وذكر الزركلى فى الأعلام أنه جاء فى حاشية إحدى كتب المصنف : « ودأب العجم أن يسموا أولادهم أسماء مزدوجة مثل فاضل محمد ، وصادق محمد ، وأسد محمد ، واسم أبيه سلطان محمد ، فهو من هذا القبيل على ما سمع ، وأما كونه من الملوك فلم يسمع » .

مولده ووفاته :

ولد فى هراة ، وسكن مكة وتوفى بها سنة ١٠١٤ هـ أربع عشرة وألف من الهجرة ، ولم يذكر المؤرخون سنة مولده ، واستقر الملا على القارى –رحمه الله– بمكة وتعلم بها وأخذ عن جماعة من المحققين كابن حجر الهيتمى المتوفى سنة ٩٧٤ هـ وقيل : كان يكتب فى كل عام مصحفاً وعليه طرر من القراءات والتفسير فيبيعه فيكفيه قوته من العام إلى العام ، وصنف التصانيف المفيدة .

ثناء العلماء عليه :

قال العصامى فى وصفه : « الجامع للعلوم النقلية ، والعقلية ، والمتضلع من السنة النبوية ، أحد جماهير الأعلام ومشاهير أولى الحفظ والأفهام ». ثم قال : « لكنه امتحن بالأعتراض على الأئمة لا سيما الشافعى وأصحابه واعترض على الإمام مالك فى إرسال يديه ، ولهذا تجد مؤلفاته ليس عليها نور العلم ، ومن ثمة نهى عن مطالعتها كثير من العلماء والأولياء » . انتهى .

قال الشوكانى : « وأقول هذا دليل على علو منزلته فإن المجتهد شأنه أن يبين ما يخالف الأدلة الصحيحة ويعترضه سواء كان قائله عظيماً أو حقيرًا تلك شكاة ظاهر عنك عارها » . اهـ .

مصنفاته :

تميز المصنف بغزارة مؤلفاته وشروحه ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى :

١ – تفسير القرآن فى ثلاثة مجلدات مخطوط
٢ – الأثمار الجنية فى أسماء الحنفية . مخطوط
٣ – الأسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة . مطبوع
٤ – بداية السالك . مناسك مخطوط
٥ – جمع الوسائل فى شرح الشمائل . مطبوع
٦ – الحرز الثمين للحصن الحصين . مطبوع
٧ – شرح الشفا (للقاضى عياض) . مطبوع
٨ – تعليق على بعض آداب المريدين ، لعبد القاهر السهروردى، مخطوط فى خزانة الرباط (٢٥٠٣ ك)

٩ – القول السديد فى خلف الوعيد ، نشرته دار الصحابة للتراث بطنطا ، بتحقيقنا .

١٠ – شرح عين العلم وزين الحلم . مطبوع

١١ – شرح نخبة الفكر . مطبوع

١٢ – شرح مشكاة المصابيح . مطبوع

١٣ – شرح مشكلات الموطأ . مخطوط

١٤ – سيرة الشيخ عبدالقادر الجيلانى . رسالة مطبوع

١٥ – التجريد فى إعراب التوحيد . رسالة تتولى دار الصحابة نشرها .

١٦ – صلاة الاستسقاء . رسالة تتولى دار الصحابة نشرها .

١٧ – ضوء المعالى شرح بدء الأمالى . فى التوحيد . مطبوع

١٨ – فتح باب العناية بشرح كتاب النقاية . مطبوع

١٩ – فتح الرحمن بفضائل شعبان مطبوع بولاق ١٨٨٩ م

٢٠ – المبين المعين لفهم الأربعين ، وهو شرح الأربعين حديثاً النووية . مطبوع

٢١ – المشرب الوردى فى حقيقة مذهب المهدى . مطبوع

٢٢ – منح الروض الأزهر فى شرح الفقه الأكبر . مطبوع

٢٣ – الرد على ابن العربى فى كتابه الفصوص وعلى القائلين بالحلول والاتحاد . مخطوط

٢٤ – المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزرية . مطبوع

٢٥ – تذكرة الموضوعات . مطبوع

٢٦ – توضيح المبانى ، شرح مختصر المنار فى الأصول . مخطوط

٢٧ – الزبدة فى شرح البردة . مخطوط فى مكتبة عبيد .

٢٨ – المقدمة السالمة فى خوف الخاتمة ، وهو الكتاب الذى نحن بصدد

تحقيقه ونشره ، وقد ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون (١٨٠٢/٢) ونسبه للقارى .

إلى غير ذلك من المصنفات العديدة التى يضيق المقام عن حصرها(*) .

(*) مصادر الترجمة :

- البدر الطالع للشوكانى (٤٤٥/١) .
- الأعلام لخير الدين الزركلى (١٢/٥) .
- معجم المؤلفين لرضا كحالة (١٠٠/٧) .
- خلاصة الأثر للمحبى (١٨٥/٣-١٨٦) .
- كشف الظنون لحاجى خليفة (مواضع متفرقة) .

عملي في الكتاب

حاولت جاهدًا ما وسعني الجهد أن أصل بهذه الرسالة إلى أن تكون في أبهى صورة وأجلى مضموناً ، ولقد سلكت في عملي هذا عدة نقاط أهمها :

أولاً : قمت بقراءة المنسوخة مصححاً لبعض الكلمات والجمل التي اعتراها التصحيف أو التحريف من غير إخلال لمعنى أو إجحاف بأسلوب المصنف .

ثانياً : قمت بعزو الآيات القرآنية الواردة في الرسالة إلى أماكنها في المصحف الشريف مع الرجوع في تفسير بعض الآيات إلى كتب التفسير .

ثالثاً : قام بتخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها وذكر درجة الحديث الأخ عمرو عبدالمنعم

رابعاً : قمت بعمل تراجم للشخصيات والأعلام الوارد ذكرهم في ثنايا الرسالة .

خامساً : التعريف بالفرق والمذاهب المبتدعة الوارد ذكرها في الرسالة .

سادساً : وضحت بعض معاني الكلمات المبهمة في الرسالة وعزوتها إلى أماكنها في كتب اللغة كلسان العرب لابن منظور ، والمعجم الوسيط وغير ذلك .

سابعاً : وضعت العناوين الداخلية بين معكوفتين ليسهل ذلك على القارىء .

ثـامناً : قدمت للكتاب بمقدمة تشتمل على :

- التعريف بالكتاب .
- التعريف بالمؤلف .

وهذا جهد المقل ، فإن كنت أصبت فمن الله عز وجل ، وإن كانت الأخرى فمن نفسى والشيطان (وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) .

والحمد لله رب العالمين

تم التحقيق بالدار

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

قال الشيخ الإمام العلامة سيدي
محمد بن أحمد الملقب بعبد الغني [illegible]
الاندلسي الحنفي رحمه الله آمين

نحمد [illegible] الشرائع والأحكام. وهدى العقول [illegible]
[illegible] والأحكام. ونصلي على محمد عبده ورسوله
سيد الأنام. وعلى آله الطاهرين وصحبه [illegible]
[illegible] بعض الطلاب [illegible] [illegible] أهل
[illegible] الإيمان [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] والله [illegible]
[illegible] الله تعالى بقوله والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله لا نفرق بين أحد من رسله [illegible] الإيمان [illegible]
[illegible] [illegible] واليوم الآخر
[illegible] في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبيين [illegible] الإيمان [illegible]
وقوله تعالى ولكن البر من [illegible] ولكن البر من آمن
بالله [illegible] [illegible] كقوله تعالى [illegible]
[illegible] قال بعضهم [illegible] الفاعل

والمعجزات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] موضع [illegible]
[illegible] [illegible] موضع [illegible] [illegible] [illegible] موضع
[illegible] [illegible] معاني [illegible] العلامة [illegible]
أن الإيمان هو التصديق [illegible] بالله [illegible] بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله [illegible]
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل [illegible] [illegible]
المتكلمون [illegible] الإيمان [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] بالإجماع [illegible] [illegible]
النبي [illegible] [illegible] الخاصة والعامة [illegible]
بالتصديق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإيمان
[illegible] [illegible] وجوب الصلاة [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] البالغ [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] معلوم ضرورة [illegible]
[illegible] [illegible] العالم والبعث [illegible]
[illegible] والعلم [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
بالإيجاب [illegible] [illegible] والمتكلم [illegible]
[illegible] [illegible] الضرورة [illegible] المعلوم [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

قلت ليس من شأن أهل الاستقلال العقلي بالإدراك أن يدرك الدليل ولكن
لما كان ما افترق أي خواص أهل الدليل وعوامهم في صحة إيمانهم مع عدم
غير قبول التشكيك فيها بالمعلوم ضرورة في عدم قبول التشكيك و
وعموم الحكم المطلق عليه أنه معلوم بالضرورة لهذه القضايا فيلحق
بالضروريات وقد فعل كذلك قوم من المحققين لذلك عمهم أن الشوائب
لا توجب على المؤمن كالعيان أو كما توجبه الحس علما ضروريا و
وإنما توجب على الصحابة أي علما لا يخطر جانب الصدق وتطمئن
إليه القلوب ولذلك لا ينبغي توهم الكذب وهذا القدر باطل [illegible] الأنبياء
ومعجزاتهم التي أيدوا بها فكم من لا تثبت إلا بالتواتر وحينئذ
لا يثبت العلم بنبوة نبينا القطعي بعثه وكذلك يجهل لجحد الكتاب
ما تضمنه في هذه المسألة أعني أن أخبار واجبة بعدة فيها آيات ومن النبي
لكن ما قال أنه عليه وجود مكة ومحمد عليه السلام الذي من بعثته تلك
الأمة لا تأتي والتقرير بالدليل الخفي مع وجود الدليل الظاهر
غير جائز فتبين أن حصول العلم به ضرورة والتشكيك أتى في الضروريات
باطلا انتهى قلت ومن المعلوم ضرورة أن من علم
النبي صلى الله عليه وسلم وشاهد المعجزة أو تواترت عنده حتى حصل
له العلم بها فإنه يحصل له العلم بكل ما ثبت منه ونقل عنه من غير نظر
عقلي ولا قياس منطقي والأصح في مثل الكلام في حق من هذا العذر
إنما هو ما وجب عليه وأما الكلام فيمن لم يحصل له أو شك في هذا
الأمر كالجاهل بخبر الملك فيأتي ضرورة لا يتمكن من الإعراض عن الطريق
المعلومة والقضايا أو ظاهر حرمة فقال الشيخ والذي عليه غير [illegible]

ولا شك في ذلك ولا يجب لأحد من العقلاء وجود الصانع وتوحيده
وانفراده بصفات الكمال وتنزيهه عن النقائص ووجود الملائكة وكتبه
ورسله واليوم الآخر وكذلك الأعمال التي يبنى عليها الإسلام وهي الخمس
وما فيهما من تحريم إتلاف النفس والأموال والأعراض وفساد العقول وكذلك
تحسين عبادة الله تعالى بالإخلاص والطاعة وما فيهما [illegible]
بالأمور التي يبنى عليها حديث الإسلام والإيمان والإحسان حين أتى
[illegible] من هذه الأصول التي الكافي انتهى القاضي [illegible]
والشأن فيما علم من الدين بالضرورة حين لا تنضم الأدلة عليه في بعثة
العبد بالإسلام فيها أراد سلوك أن قصد الحق بفتح آذان العالم كما
وقع لجميع المسلمين والذي نشأ في ذلك بحر البلد وغيرنا التسليم
كافي بالاتباع ولا يغتر بقوله في ذلك ولا يقصر فيه بالطاعن بالتشكيك
بالتكذيب وقد في كتاب [illegible] والإيمان بمحمد رسول الله إيمان
بجميع الأنبياء والمرسلين وإيمان بجميع الكتب السماوية وإيمان باليوم
الآخر وما فيه وفيه الإيمان بالله تعالى وكماله إذ أن جاء به [illegible]
الكائنات خيرها وشرها من الله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
في جواب جبريل عليه السلام حين سأله ما الإيمان أن تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ومعنى [illegible] من القدر
تعلق [illegible] بالله تعالى وكماله ومعنى نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم ورسالته بوجود من كان الإيمان بالتفصيل والإيمان بالجملة
لا يزيد ولا ينقص وإن كان بحسب مباشرته وأنواره يزداد وينقص
انتهى وقد جاء بذلك الإيمان بمعنى النظر [illegible] الغلبة لابن [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المصنف]

الحمد لله الذى هدانا إلى الصراط المستقيم ودلّنا إلى الطريق القويم ، والصلاة والسلام على من خُلِقَ بالخُلُق العظيم ، وجُبِلَ[1] بالقلب السليم ، وعلى آله ، وأصحابه ، وأتباعه ، وأحزابه ، أصحاب التكريم ، وأرباب التعظيم .

أما بعد :

فيقول الملتجىء إلى حرم ربه البارى على بن سلطان محمد القارى خادم كتاب الله القديم وحديث نبيه الفخيم[2] .

إن الله سبحانه قال : ﴿ **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الخَاسِرُون** ﴾[3] أى الذين خسروا أنفسهم بالكفر وترك النظر

---

(١) **جُبِلَ** : جَبَلَ الله الخلقَ جبلاً أى خلقهم ، ويقال : جَبَلَهُ على كذا : طبعه ، وفى الأثر : « جُبلت القلوب على حبِّ من أحسن إليها » . الوسيط (١٠٥/١)

(٢) **الفخيم** : عظيم القدر ، رفيع المنزلة .

(٣) سورة الأعراف الآية : ٩٩

وأصل المكر قيل : الشر ، ومنه (مكر الليل) إذا أظلم وفسره البعض بصرف الغير عما يقصده بحيلة وآخرون باختداع الشخص لإيقاعه فى الضرر ، وفرقوا بينه وبين الحيلة بأنها قد تكون لإظهار ما يعسر من الفعل من غير قصد إلى الإضرار والمكر حيلة على الشخص ، وقالوا : لا يطلق على الله تعالى إلا بطريق المشاكلة لأنه منزه عن معناه وغير محتاج إلى حيلة=

والتأمل فى الأمر ، ومكر الله استعارة لاستدراك العبد بالآلاء والنعماء ، وأخذه من حيث لا يشعر بالبلاء والضراء ، وعدّ من جملتها الكرامات لبعض الأولياء ، وقال عز وجل : ﴿ **إنه لا يَيْأسُ من رَوْح الله إلَّا القَوْمُ الكَافِرُون** ﴾[4] فالواجب على كل مؤمن أن يكون بين الخوف والرجاء[5] ، والقبول والرد فى الانتهاء ، ولا يغتر بأن يحسب الظاهر فى صورة العلماء أو فى سيرة الصلحاء ، وكذا لا يقنط من رحمة ربه تعالى ولو كان من طريق الفسقة أو الجُهَّلاء ، فإن المدار على الخاتمة اللاحقة على وفق ما جرى به القلم فى الساعة السابقة .

=فلا يقال ابتداء مكر الله سبحانه – وإلى ذلك ذهب العضد وجماعة – وخالفهم الأبهرى وغيره : فجوزوا الإطلاق بلا مشاكلة مستدلين بقوله تعالى : ﴿ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ فإنه نسب إليه سبحانه ابتداء وقال غير واحد : إنه عبارة عن التدبير المحكم وهو ليس بممتنع عليه تعالى ، وفى الحديث « اللهم امكر لى ولا تمكر بى » .

ومن ذهب إلى عدم الإطلاق – إلا بطريق المشاكلة – أجاب عن الاستدلال بالآية ونحوها بأن ذلك من المشاكلة التقديرية كما فى قوله تعالى : ﴿ صبغة الله ﴾ ولا يخفى ما فيه ، فالأولى القول بصحة الإطلاق عليه سبحانه ابتداءً بالمعنى اللائق بجلاله جل جلاله ، ومما يؤيد ذلك قوله سبحانه : ﴿ والله خير الماكرين ﴾ أى أقواهم مكراً وأشدهم أو أن مكره أحسن وأوقع فى محله لبعده عن الظلم فإنه يبعد المشاكلة . اهـ .

قاله الألوسى فى روح المعانى (٣/١٧٨–١٧٩) .

(٤) سورة يوسف الآية : ٨٧ .

(٥) يقول المصنف –رحمه الله– فى شرحه على الفقه الأكبر للإمام أبى حنيفة (ص/١٣٥) : اعلم أنه يجب على العبد أن يكون خائفاً راجياً لقوله تعالى : ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ﴾ .

والتحقيق أن الرجاء يستلزم الخوف ، ولولا ذلك لكان أمناً والخوف يستلزم الرجاء ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً ، فالخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله سبحانه ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط ، والرجاء المحمود رجاء عمل بطاعة الله=

[بداية الإنسان ونهايته]

وقد ورد فى السنة حديث صحيح رواه أصحاب الكتب الستة عن ابن مسعود -رضى الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال : « **إن أحدكم يجمع خَلْقُهُ فى بطن أمه أربعين يوماً [نطفةً]**[٦] **، ثم يكون عَلَقةً مثلَ ذلك ، ثم يكون مُضْغَةً مثل ذلك ، ثم يبعثُ الله إليه مَلَكاً ويؤمر بأربع كلمات**[٧] **ويقال له اكتب عمله ، ورزقه ، وأجله ، وشَقِيٌّ**[٨] **أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل**[٩] **بعمل أهل الجنة**

= على نور من ربه، فهو راج لمثوبته، أو رجل أذنب ذنبًا، ثم تاب منه إلى الله فهو راج لمغفرته ، .. إذا كان الرجل متمادياً فى التفريط والخطايا ويرجو رحمة الله تعالى بلا عمل فهذا هو الغرور والتمنى والرجاء الكاذب .

قال أبو على الروزبارى -رحمه الله- الخوف والرجاء كجناحى الطائر إذا استويا استوى الطير ، وتم طيرانه ، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص ، وإذا ذهبا صار الطائر فى حد الموت ، وهذا الذى ذكره الشيخ موافق لما روى عن عمر -رضى الله عنه- أنه قال : « لو نودى فى المحشر أن واحداً يدخل الجنة لأرجو أن أكون أنا ، وإن قيل : إن واحداً يدخل النار أخاف أن أكون أنا » .

وقال بعضهم : ينبغى أن يكون الخوف غالباً عند الشباب والصحة والرجاء حال الكبر والمرض لقوله عليه الصلاة والسلام قبل موته بثلاث : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه » .. اهـ .

(٦) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من مصادره .

(٧) بالمنسوخة [كريمات] والصواب ما أثبتناه من مصادر تخريج الحديث .

(٨) بالمنسوخة [وشقيا] بالنصب ، وقد جاءت بالرفع فى مصادر الحديث لأنها خبر لمبتدأ محذوف والتقدير (وهو شقى أو سعيد) .

(٩) بالمنسوخة [لا يعمل] والصواب ما أثبتناه .

حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار ، وإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة »(١٠) .

---

(١٠) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (١٣٥/٤) ، (١٥٢/٨) ، ومسلم (٢٦٤٣) ، وأبو داود (٤٧٠٨) ، والترمذى (٢١٣٧) ، وابن ماجة (٧٦) ، وأحمد (٣٨٢/١، ٣٤٠) .

قال النووى (٤٣٤/١٦) :

المراد بالذراع التمثيل للقرب من موته ودخوله عقبه وأن تلك الدار ما بقى بينه وبين أن يصلها إلا كمن بقى بينه وبين موضع من الأرض ذراع والمراد بهذا الحديث أن هذا قد يقع فى نادر من الناس لا أنه غالب فيهم ثم إنه من لطف الله تعالى وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلى الخير فى كثرة ، وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففى غاية الندور ونهاية القلة ، وهو نحو قوله تعالى : « إن رحمتى سبقت غضبى وغلبت غضبى » ، ويدخل فى هذا من انقلب إلى عمل النار بكفر أو معصية لكن يختلفان فى التخليد وعدمه فالكافر يخلد فى النار والعاصى الذى مات موحداً لا يخلد فيها .

وفى هذا الحديث تصريح بإثبات القدر ، وأن التوبة تهدم الذنوب قبلها وأن من مات على شيء حكم له به من خير أو شر إلا أن أصحاب المعاصى غير الكفر فى المشيئة والله أعلم . اهـ .

قلت : وقد فهم بعض الجهلة بل كثيرهم من الفرق المبتدعة هذا الحديث على نقيض ما رمى إليه ، فالحديث كما بين الإمام النووى يصرح بأن التوبة تجب ما قبلها ، وفيه أيضاً تصريح بأن لا يغتر المؤمن بإيمانه ، وأن لا يتمادى فى الرجاء دون العمل لئلا ينتهى به إلى التفريط والأمن ، وبالتالى ينقص إيمانه ويقبل على المعاصى التى تورده مورد الهلكة أقول إن جلّ ما فهموه من الحديث أن لا يسعوا ولا يطلبوا العلم إذ أن ما قدره الله كائن لا محالة فلا جدوى من السعى لطلب العلم أو الرزق أو التوسع والمسارعة فى الخيرات ، لأن الواحد منهم قد سبق عليه الكتاب فلا اختيار له فى أفعاله وهم بهذا يتسللون إلى مذاهب الجبرية ، وهذا محض جهل وسفسطة نعوذ بالله من ذلك ، ونبرأ إليه من كل سوء .

والآيات فى هذا المعنى كثيرة ، والأحاديث فى هذا المبنى شهيرة ، وفى متن العقائد الموافق للمواقف والمقاصد : أن اليأس من الله كفر ، والأمن من الله كفر .

إذا عرفت ذلك وحققت ما هنالك فاعلم ما نقل عن بعض المشهورين بالمشيخة فى زماننا أنه كان يتفوَّه بنحو قوله : « **من رآنى دخل الجنة ، ولم يدخل النار** » باطل وساقط عن درجة الاعتبار ، وإن كان تعلق بعض الفجار واقترف بالمعاصى الكبائر اعتماداً على أنه قد رآه فى بعض الديار وذلك بأن هذا القائل حيث لا يقدر على أن يجزم بموت نفسه على الإيمان كيف يتصور له أن يكون غيره سبب الأمن والأمان ؟ فهذا الكلام [من] الشطحات التى هى خارجة عن سبيل الشريعة ، ومنهاج الطريقة والحقيقة على أن إطلاق من رآنى شامل للكفار والفجار .

ولو قيدنا أنه أراد المؤمن ، فمن أين له أن يموت مؤمناً ، ولا يدخل النار بما وقع له من معصية صغيرة أو كبيرة ؟

ولو أراد أن كل مؤمن رآه ومات على الإيمان لم يدخل النار مخلداً ، وأنه لابد أن يدخل الجنة فى آخر الأمر دخولاً مؤبَّداً فهذا مستفاد من الحديث النبوى - ﷺ - « **من قال لا إله إلا الله دخل الجنة** »[11] أى استحق دخولها إن لم يقع ما يمنع دخولها ، وهذا أمر عام يشمل من رآه ومن لم يره ، بل ربما يعذب من رآه ويغفر لمن لم يره إذا شاء الله .

---

(١١) **حديث صحيح** : ورد من طريق أربعة وثلاثين نفساً من الصحابة كما فى « نظم المتناثر » للكتانى (ص/٢٨) .

والحديث أخرجه مسلم (١/٥٥) ، والترمذى (٢٦٣٨) ، والنسائى فى « عمل اليوم والليل » (١١٣٦) من طريق عبدالرحمن بن عسيلة الصنابحى عن عبادة بن الصامت به .

وأما ما ادعى بعض من يزعم أن له مزية الفضل فى هذا الفصل مع أنه خالٍ عن معرفة الفرع والأصل من أن هذا نظير قوله عليه السلام فى حق أويس القرنى[١٢] « أنه يشفع لهذه الأمة أكثر من ربيعة ومضر »[١٣]

---

(١٢) **أويس القرنى** (٣٧ هـ - ٦٥٧ م)

هو أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرنى من بنى قرن بن ردمان ابن ناجية بن مراد : أحد النساك العباد المقدمين ، من سادات التابعين أصله من اليمن ، يسكن القفار والرمال ، وأدرك حياة النبى - ﷺ - ولم يره وفد على عمر بن الخطاب وطلب عمر منه الدعاء ، وأقبل عليه الناس يطلبون دعاءه ففر هارباً ثم سكن الكوفة ، وشهد وقعة صفين مع على ، ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها .

انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد (١١١/٦) ، وابن عساكر (١٥٧/٣) ، وميزان الاعتدال (١٢٩) ، وحلية الأولياء (٧٩/٢) ، الأعلام (٣٢/٢) .

(١٣) **حديث حسن بمجموع طرقه** . من حديث أبى أمامة -رضى الله عنه- : ورد عنه من طرق :

الأول : عبدالرحمن بن ميسرة الحضرمى ، عنه : أخرجه أحمد (٢٥٧/٥، و٢٦١ و٢٦٧) ، والطبرانى فى « الكبير » (١٦٩/٨) من طريق حريز بن عثمان عن عبدالرحمن بن ميسرة به بلفظ :

« ليدخلن الجنة بشفاعة الرجل الواحد ليس بنبى مثل الحيين ، أو أحد الحيين ربيعة ومضر » .

قلت : وهذا إسناد ضعيف ، عبدالرحمن بن ميسرة مجهول الحال ، والله أعلم .

الثانى : القاسم بن عبدالرحمن ، عنه : أخرجه الطبرانى فى « الكبير » (٢٨٠/٨) : حدثنا محمد بن جابان ، حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا الوليد بن جميل ، عن القاسم به .

قلت : وهذا إسناد رجاله ثقات إلا الوليد بن جميل ، فهو صدوق ، ربما حدّث عن القاسم بن عبدالرحمن بأحاديث منكرة ، وشيخ الطبرانى محمد بن جابان لم أجد من ترجم له .

الثالث : أبو غالب ، عنه : أخرجه الطبرانى فى « الكبير » (٣٣٠/٨) من طريقين عنه :

فيقال له لا تقس الحدادين بالملوك ، ولا طائفة الأغنياء بالفقير الصعلوك ، فإن كلامه عليه السلام صدق ، وأخباره حق ، وأما غيره فلا يدرى ماذا يكسب غداً[١٤] لا فى الدنيا ولا فى الآخرة أبداً .

فإن قلت لعله انكشف له هذا الأمر بأن يكون له الشفاعة فى هذا القدر .

قلت لا اعتبار لمكاشفات الأولياء ، ومحاضرات الأصفياء ، بحيث يعتمد عليها بالكلية فى الأمور الشرعية ، أو فى الأطوار الحقيقية ، فإن الإنسان مادام فى هذه الدار المشوبة بالأكدار لا تصفى له الأسرار ، ولا تنجلى له الأنوار ، بخلاف الأنبياء الأبرار ، والرسل الكبار .

ولذا قال تعالى : ﴿ **لقد كنت فى غَفْلَةٍ من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾[١٥] نعم ما يتعلق بالعقائد الدينية وفق

= الأول : مبارك بن فضالة ، عنه : ومبارك بن فضالة هذا صدوق ، إلا أنه يدلس ويسوى الحديث .

الثانى : الحسين بن واقد ثقة له أوهام .

ومدار هذا الحديث على أبى غالب صاحب أبى أمامة ، وهو صالح الحديث ، وقد توبع كما تقدم .

فالحديث بمجموع الطرق يرتقى إلى درجة الحسن والله أعلم .

وفى الباب عن ابن عباس ، وأبى هريرة . وواثلة بن الأسقع ، وعبدالله بن أبى الجدعاء ، والحسن البصرى مرسلاً .

ولا يصح فى شفاعة أويس القرنى شىء ، والله تعالى أعلى وأعلم .

(١٤) فيه إشارة إلى قوله تعالى :
﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت ﴾ سورة لقمان/٣٤ .
لأن الأرزاق والآجال من الغيبيات التى لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ، وكذلك الموت على الإيمان أو الكفر ، ودخول الجنة أو النار .

(١٥) سورة ق الآية : ٢٢ .

الكتاب والسنة النبوية إذا كان صاحبها فى المرتبة العلية يصلح له أن يقول : لو كشف الغطاءماازددت يقينا .

ولذا قال إمامنا الأعظم وهُمَامُنا الأقدم[١٦] : عرفناك حق معرفتك عبدناك حق عبادتك ، كما قاله فى الفقه الأكبر ، فتأمل وتدبر[١٧] .

---

(١٦) يقصد الإمام أبا حنيفة النعمان وهو النعمان بن ثابت التيمى بالولاء ، الكوفى ، أبو حنيفة : إمام الحنفية ، الفقيه المجتهد المحقق أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، قيل : أصله من أبناء فارس ، ولد ونشأ بالكوفة ، وكان يبيع الخز ، ويطلب العلم فى صباه ، ثم انقطع للتدريس والإفتاء ، عرض عليه القضاء مرتين فأبى وامتنع ورعاً فحبس من أجل ذلك إلى أن مات (سنة ١٥٠ هـ) .

وتنسب إليه رسالة « الفقه الأكبر » التى أشار المصنف إليها ، وهى مطبوعة بشرح الملا على القارى – المصنف – ولم تصح نسبة الرسالة لأبى حنيفة كما قاله الزركلى فى الأعلام .

تاريخ بغداد (١٣/٣٢٣–٤٢٣) ، وفيات الأعيان (١٦٣/٢) ، الأعلام (٣٦/٨) .

(١٧) كذا وردت العبارة فى المنسوخة ، ولقد بحثت كثيراً عن هذه العبارة التى نسبها المصنف إلى الإمام أبى حنيفة بيد أنى لم أجد هذه العبارة منسوبة إليه ولم أجد سوى قوله – فى كتاب الفقه الأكبر المنسوب إليه – :

« نعرف الله حق معرفته كما وصف الله نفسه فى كتابه بجميع صفاته وليس يقدر أحد أن يعبد الله تعالى حق عبادته كما هو أهل له » اهـ .

وقال المصنف – على القارى – فى شرحه :

(نعرف الله حق معرفته) أى لا باعتبار كنه ذاته وإحاطة صفاته ، بل بحسب مقدور العبد وطاقته فى جميع حالاته (كما وصف) أى الله سبحانه (نفسه فى كتابه بجميع صفاته) أى ذاته .

قال المصنف : وأما قول من قال : ما عرفناك حق معرفتك فمبنى على أن إدراك الذات ، والإحاطة بكنه الصفات ليس فى قدرة المخلوقات لقوله تعالى : ﴿لا تدركه الأبصار﴾ ، ولقوله تعالى : ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ فاختلاف القضية بتفاوت الحيثية =

وقد ذكر فيه ووالدا رسول الله - ﷺ - ماتا على الكفر ورسول الله - ﷺ - مات على الإيمان .

أما المسألة المتقدمة فقد كتبت فيها رسالة مستقلة ، وأما الأخيرة[18] فتحيرت عند شرحي عليه حتى شرح الله صدري ببعض ما قصد إليه وهو أنه - ﷺ - من حيث كونه نبياً من الأنبياء وهم كلهم معصومون عن الكفر فى الابتداء والانتهاء نعتقد أنه مات على الإيمان ، وأما غيره من الأولياء ، والعلماء ، والأصفياء ، فلا نجزم بموتهم على الإيمان وإن ظهر منهم خوارق العادات ، وكمال الحالات ، وجمال أنواع الطاعات فإن مبنى أمره على العيان ، وهو مستور عن أفراد الإنسان ، ولهذا كانت العشرة [المبشرة][19] وأمثالهم خائفين من انقلاب أحوالهم وسوء آمالهم فى مآلهم .

= (وليس يقدر أحد أن يعبد الله تعالى حق عبادته كما هو أهل له) أى فى استحقاق طاعته من حيث أن العبد عاجز عن مداومة ذكره ومواظبة شكره كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ أى لا تطيقوا عدها فضلاً عن القيام بشكرها وصرفها إلى طاعة ربها .. فليس لأحد أن يقول : عبدت الله حق عبادته .. اهـ .

انظر : شرح الفقه الأكبر (ص/١٣٢ - ١٣٣) .

(١٨) يقصد بالمسألة المتقدمة « موت والدى الرسول على الكفر » ، ويقصد بالأخيرة موت النبى - ﷺ - على الإيمان ، وقد نقل المصنف فى هذه الرسالة ما قاله هناك فى شرحه على الفقه الأكبر بتمامه .

انظر : شرح الفقه الأكبر للملا على القارى (ص/١٦٠-١٦١) .

(١٩) بالمنسوخة [المشيرة بهم] والصواب ما أثبتناه من شرح الفقه الأكبر .

[موقف السلف من الشهادة بالجنة]

ثم اعلم أن للسلف فى الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال مرضية :

أحدها : أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء ، وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية[٢٠] واختاره إمام الحنفية لأنه القضية القطعية[٢١] .

وثانيها : أن يشهد لكل مؤمن جاء نص فى حقه ، وهذا قول كثير من العلماء لكنه حكم ظنى فى أصله .

وثالثهما : أن يشهد أيضاً لمن شهد له المؤمنون كما فى الصحيحين أنه [عليه الصلاة والسلام] مر بجنازة فأثنوا عليها بخير ، فقال -ﷺ- : « **وجبت** » ، ومر بأخرى فأثنوا عليها بشر فقال : « **وجبت** » فقال عمر -رضى الله عنه- يارسول الله ما وجبت ؟ فقال

(٢٠) فى الشرح عن محمد بن الحنفية والأوزاعى ..

ومحمد بن الحنفية هو محمد بن على بن أبى طالب الهاشمى القرشى أبو القاسم المعروف بابن الحنفية أحد الأبطال الأشداء فى صدر الإسلام وهو أخو الحسن والحسين غير أن أمهما فاطمة الزهراء ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ينسب إليها تمييزًا له عنهما ، وكان يقول : الحسن والحسين أفضل منى ، وأنا أعلم منهما كان واسع العلم ورعاً ، أسود اللون ، وأخبار قوته وشجاعته كثيرة ، وكان المختار الثقفى يدعو الناس إلى إمامته ويزعم أنه المهدى ، وكانت الكيسانية تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى ، مولده ووفاته بالمدينة (٨١هـ) . الأعلام للزركلى (٦/٢٧٠) .

(٢١) وقعت فى شرح الفقه الأكبر للمصنف [وهذا أمر قطعى لا نزاع فيه] .

عليه السلام : « **هذا أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النار أنتم شهداء الله فى الأرض** »[٢٢] .

وهذا مبنى على أنا نحكم بالظواهر وأن الله يعلم ما فى السرائر ، وفيه تنبيه على أن هذه الأمة لا تجتمع على الضلالة ، فليس لأحد أن يشهد لأحد من أرباب هذه الملة بعدم دخول النار ، أو وصول الجنة وإنما يجوز له أن يشهد بالثناء عليه إن رأى فيه خيرًا بموجب حسن الظن ، والرعاية ، أو سبب ظهور العلم ، والعمل ، والصلاح ، والديانة ، وكذا له أن يشهد بالشر لأحد إذا رأى منه ما يدل على نفاقه ، أو شاهد فيه بعض الكبائر من شقاقه ، نحو أكل مال الحرام ، وأخذ مال الوقف من غير مراعاة ما يجب عليه من حق القيام .

ومن قبيل هذه الدعوى التى ليس تحتها المعنى ما ذكره بعض الجهلة أن شخصاً من أرباب الكشف كان يبكى لما ظهر له أن أحداً من

---

(٢٢) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد (١٨٦/٣) ، والبخارى (٢٢٨/٣-فتح) ، ومسلم (٦٥٥/٢) ، والنسائى (٤٩/٤) من طرق عن عبدالعزيز بن صهيب ، عن أنس بلفظ : « مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً ، فقال النبى -ﷺ- : « وجبت » ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً ، فقال : « وجبت » ، فقال عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- : ما وجبت ؟ قال : « هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله فى الأرض » .

وقوله : « أنتم شهداء الله فى الأرض » قال الحافظ ابن حجر : أى : المخاطبون بذلك من الصحابة ومن كان على صفتهم من الإيمان ، وحكى ابن التين أن ذلك مخصوص بالصحابة لأنهم كانوا ينطقون بالحكمة بخلاف من بعدهم . اهـ .

أهله فى العذاب ، وأنه اجتمع بابن[٢٣] عربى فى هذا الباب ، فشطح له أنه لم يرنى ، ولم يكن فى بغداد ، وأمثال ذلك مما هو ظاهر الفساد فإن قلت لعل القائل رأى فى المنام جمال النبى - ﷺ - وأشار إليه بهذا المقام .

قلت هذا لا يجوز مخالفته قواعد الإيمان وأحكام الإسلام لا يقال ورد أن « **من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى** »[٢٤] فإن فى تحقيقه كلاماً كثيرًا ذكرناه فى شرح الشمائل[٢٥] ما ظفرنا بنقله

---

(٢٣) هو محمد بن على بن محمد بن العربى أبو بكر الحاتمى الطائى الأندلسى ، المعروف بمحيى الدين بن عربى الملقب بالشيخ الأكبر فيلسوف من أئمة المتكلمين فى كل علم ولد بالأندلس وانتقل إلى إشبيلية وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز وأنكر عليه أهل الديار المصرية (شطحات) صدرت عنه فعمل بعضهم عن إراقة دمه كما أريق دم الحلاج وأشباهه ، وحبس فسعى فى خلاصه على بن فتح البجائى فنجا واستقر فى دمشق فتوفى فيها (٦٣٨ هـ) وهو ، كما يقول الذهبى : قدوة القائلين بوحدة الوجود .

له نحو أربعمائة كتاب ورسالة ، منها :

« الفتوحات المكية » مطبوع فى عشر مجلدات فى التصوف وعلم النفس ، و « محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار » مطبوع فى الأدب مجلدان ، و « ديوان شعر » مطبوع أكثره فى التصوف إلى غير ذلك من المصنفات التى امتلأت بالبدع ، والشطحات الخارجة عن طريق أهل السنة . انظر : الأعلام (٦/٢٨١) .

(٢٤) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (٣/٣٨) ، ومسلم (٤/١٧٧٥) من طريق أبى سلمة عن أبى هريرة مرفوعاً بلفظ :

« من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ، أو لكأنما رآنى فى اليقظة ، فإن الشيطان لا يتمثل بى » .

وأخرجه مسلم (٤/١٧٧٥) من طريق ابن سيرين ، عن أبى هريرة به باللفظ الذى ذكره المصنف .

(٢٥) من مصنفات المؤلف ، واسمه : « جمع الوسائل فى شرح الشمائل » وهو شرح لشمائل الترمذى ، ولابن حجر الهيتمى شيخ المصنف كتاب أيضاً سماه : « أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل » .

عن أرباب الفضائل ومجمل الكلام فى مرام هذا المقام ما ذكره الإمام حجة الإسلام[٢٦] أنه ليس المراد بقوله فقد رآنى رؤية الجسم بل رؤية المنام الذى صار آلة يتأدى بها المعنى الذى فى نفس الأمر والآلة إما حقيقية ، وإما خيالية ، والنفس غير المثال المتخيل فالشكل المرئى لا روحه - ﷺ - ، ولا شخصه ، بل مثاله على التحقيق والله ولى التوفيق[*] .

---

(٢٦) يقصد أبا حامد الغزالى (٤٥٠-٥٠٥ هـ) وهو محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى أبو حامد حجة الإسلام : فيلسوف متصوف ، له نحو مئتى مصنف ، مولده ووفاته فى الطابران (قصبة طوس بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ، وعاد إلى بلدته من كتبه : « إحياء علوم الدين » مطبوع فى أربع مجلدات ، و « تهافت الفلاسفة » مطبوع ، و « الاقتصاد فى الاعتقاد » مطبوع ، و « المستصفى من علم الأصول » مطبوع مجلدان ، « الوجيز » فى فروع الشافعية ، و « إلجام العوام عن علم الكلام » وغير ذلك من المصنفات ، ولطه عبدالباق سرور كتاب « الغزالى » مطبوع فى سيرته ، ولزكى مبارك « الأخلاق عند الغزالى » ولمحمد رضا « أبو حامد الغزالى حياته ومصنفاته ، ولحسن عبداللطيف الفيومى رسالة فى « ما للغزالى وما عليه » مطبوع .

وفيات الأعيان (٤٦٣/١) ، شذرات الذهب (١٠/٤) ، الأعلام (٢٢/٧) .

(*) قال النووى فى شرحه على صحيح مسلم (٢٩/١٥) : اختلف العلماء فى معنى قوله - ﷺ - : « فقد رآنى » فقال ابن الباقلانى معناه أن رؤياه صحيحة ليست بأضغاث ولا من تشبيهات الشيطان ويؤيد قوله رواية فقد رأى الحق أى الرؤيا الصحيحة قال : وقد يراه الرائى على خلاف صفته المعروفة كمن رآه أبيض اللحية وقد يراه شخصان فى زمن واحد أحدهما فى المشرق والآخر فى المغرب ويراه كل منهما فى مكانه وحكى المازرى هذا عن ابن الباقلانى ثم قال : وقال آخرون بل الحديث على ظاهره والمراد أن من رآه فقد أدركه ، ولا مانع يمنع من ذلك والعقل لا يحيله حتى يضطر إلى صرفه عن ظاهره ، فأما قوله بأنه قد يرى على خلاف صفته أو فى مكانين معاً فإن ذلك غلط فى صفاته ، وتخيل لها على خلاف ما هى عليه ، وقد يظن الظان بعض الخيالات مرئياً لكون ما يتخيل مرتبطاً بما يرى فى العادة فيكون ذاته - ﷺ - مرئية وصفاته متخيلة غير مرئية والإدراك لا يشترط فيه تحديق الأبصار ولا قرب المسافة ولا كون المرئى مدفوناً فى الأرض ولا ظاهراً عليها وإنما يشترط كونه موجوداً ولم يقم دليل على فناء جسمه - ﷺ - بل جاء فى الأحاديث ما يقتضى بقاءه قال ولو رآه يأمر بقتل من يحرم قتله كان هذا من الصفات المتخيلة لا المرئية هذا كلام المازدى، قال القاضى=

[هل يجوز الاعتماد على رؤية المنام ؟]

وحاصله أنه لا اعتماد على رؤية المنام فى حق غير الأنبياء عليهم السلام مع أن الرؤيا قد تحتاج إلى تعبير يناسب الرأى أو غيره فى ذلك المقام فلو فرض أن أحداً رأى النبى -ﷺ- وأمره بفعل شيء أو تركه على خلاف قواعد الإسلام فليس له القيام بذلك الأمر بإجماع العلماء الأعلام ، ومن هنا قال صاحب المواقف : أما الرؤيا فخيال باطل أى ليس تحته طائل عند المتكلمين ، أما عند المعتزلة فلفقد شرائط الإدراك ، وأما عند الأصحاب إذ لم يشترطوا شيئاً من ذلك فلأنه خلاف العادة يعنى فلا ينبنى عليه ما يتعلق بأمر العبادة ولا بالحكم على أحد بالشقاوة والسعادة رزقنا الله الحسنى والزيادة .

=ويحتمل أن يكون قوله -ﷺ- فقد رآنى أو فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتمثل فى صورتى المراد به إذا رآه على صفته المعروفة له فى حياته فإن رأى على خلافها كانت رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة ، وهذا الذى قاله القاضى ضعيف بل الصحيح أنه يراه حقيقة سواء كان على صفته المعروفة أو غيرها لما ذكره المازرى قال القاضى قال بعض العلماء خص الله تعالى النبى -ﷺ- بأن رؤية الناس إياه صحيحة وكلها صدق ومنع الشيطان أن يتصور فى خلقته لئلا يكذب على لسانه فى النوم كما خرق الله تعالى العادة للأنبياء عليهم السلام بالمعجزة وكما استحال أن يتصور الشيطان فى صورته فى اليقظة ولو وقع لاشتبه الحق بالباطل ولم يوثق بما جاء به مخافة من هذا التصور فحماها الله تعالى من الشيطان ونزغه ووسوسته وإلقائه وكيده قال : وكذا حمى رؤيتهم نفسهم ، قال القاضى واتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى فى المنام وصحتها وإن رآه الإنسان على صفة لا تليق بحاله من صفات الأجسام لأن ذلك المرئى غير ذات الله تعالى إذ لا يجوز عليه سبحانه وتعالى التجسم ولا اختلاف الأحوال بخلاف رؤية النبى -ﷺ- ، قال ابن الباقلانى رؤية الله تعالى فى المنام خواطر فى القلب وهى دلالات للرائى على أمور مما كان أو يكون كسائر المرئيات والله أعلم . اهـ .

[السلف وخشيتهم لله]

ومما يؤيد ما ذكرناه فى هذا المقام أن المشايخ الكرام والعلماء الأعلام كانوا أخوف لله من سائر الأنام كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾(٢٧) ويدل عليه قوله عليه السلام : « أنا أخشاكم لله »(٢٨) .

---

(٢٧) سورة فاطر الآية : ٢٨ .

* قال العماد بن كثير : « إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر » اهـ .

* وقال الطبرى : « إنما يخاف الله فيتقى عقابه بطاعته العلماء بقدرته على ما يشاء من شيء وأنه يفعل ما يريد لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه » اهـ .

* وقرأها عمر بن عبدالعزيز وتُحكى عن أبى حنيفة برفع لفظ الجلالة ، ونصب (العلماء) قال الزمخشرى : الخشية فى هذه القراءة استعارة ، والمعنى : إنما يجلّهم ويعظمهم كما يُجَلُّ المهيب المخشى من الرجال بين الناس من بين جميع عباده . اهـ .

انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٣٠/٦) ط. دار الشعب .

جامع البيان للطبرى (١٣٢/٢٢) مصطفى البابى الحلبي .

الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (٣٤٣/١٤) مكتبة الرياض الحديثة .

ولابن رجب الحنبلى رسالة فى الكلام على هذه الآية نشرتها دار الصحابة بتحقيقنا فراجعها إن شئت .

(٢٨) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى فى « صحيحه » (٢/٧) ، عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى – ﷺ – يسألون عن عبادة النبى – ﷺ – فلما أُخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبى – ﷺ – وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإنى أصلى الليل أبدًا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله – ﷺ – فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

[آخر الخارجين من النار]

ومن هنا ذكر الحسن البصرى[٢٩] ، وهو سيد التابعين أن آخر من يخرج من النار رجل يقال له هناد بعدما عذب ألف عام ينادى ياحنان يامنان فبكى وقال : ليتنى كنتُ هذا واستعجبوا منه فقال : ويحكم ألست يوماً يخرج فى الجملة ولا نجلد فيها .

---

(٢٩) الحسن البصرى : (٢١-١١٠ هـ)

هو الحسن بن يسار البصرى ، أبو سعيد : تابعى كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة فى زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ولد بالمدينة ، وشب فى كنف على بن أبى طالب ، وعظمت هيبته فى القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم لا يخاف فى الحق لومة لائم ، قال الغزالى : كان الحسن البصرى أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء ، وأقربهم هدياً من الصحابة ، وكان غاية فى الفصاحة تتصبب الحكمة من فيه ، وله مع الحجاج بن يوسف مواقف ، وقد سلم من أذاه ، ولما ولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة كتب إليه : إنى قد ابتليت بهذا الأمر فانظر لى أعواناً يعينونى عليه ، فأجابه الحسن : أما أبناء الدنيا فلا تريدهم ، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك ، فاستعن بالله ، وأخباره كثيرة وله كلمات سائرة ، وكتاب فى فضائل مكة .

تهذيب التهذيب (٢٦٣/٢) ، وفيات الأعيان (٦٩/٢) ، ميزان الاعتدال (٢٥٤/١) ، حلية الأولياء (١٣١/٢) ، الأعلام (٢٢٦/٢) .

[هوان الذنوب على الله]

قال حجة الإسلام : ولقد بلغنا عن يوسف بن أسباط[30] أنه قال : دخلت على سفيان الثورى[31] فبكى ليلة أجمع فقلت : « بكاؤك هذا على الذنوب ، قال : فحمل تِبْناً من الأرض ، وقال : الذنوب أهون على الله من هذا وإنما أخشى أن يسلبنى الله الإسلام » انتهى .

---

(٣٠) هو يوسف بن أسباط الشيبانى الزاهد الواعظ كنيته أبو محمد ، سكن أنطاكية وكان من عباد أهل الشام وقرائهم كان لا يأكل إلا الحلال المحض فإن لم يجده استف التراب ، وكان من خيار أهل زمانه ، مات سنة ١٩٥ هـ .

روى عن محل بن خليفة وسفيان الثورى وعائذ بن شريح ، وروى عنه المسيب بن واضح ، وعبدالله بن حقيق الأنطاكى .

وثقه ابن معين ، وقال أبو حاتم لا يحتج به ، وقال ابن عدى : يوسف عندى من أهل الصدق إلا أنه لما عدم كتبه كان يحمل على حفظه فيغلط ويشتبه عليه ولا يتعمد الكذب . [لسان الميزان (٣١٧/٦)] .

(٣١) **سفيان الثورى** : (٩٧-١٦١ هـ)

هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى من بنى ثور بن عبد مناة من مضر أبو عبدالله أمير المؤمنين فى الحديث ، كان سيد أهل زمانه فى علوم الدين والتقوى ، ولد ونشأ فى الكوفة ، وراوده المنصور العباسى على أن يلى الحكم فأبى وخرج من الكوفة سنة (١٤٤ هـ) فسكن مكة والمدينة ثم طلبه المهدى فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً له من الكتب « الجامع الكبير » و « الجامع الصغير » كلاهما فى الحديث ، وكتاب فى الفرائض وكان آية فى الحفظ ولابن الجوزى كتاب فى مناقبه .

وفيات الأعيان (٢١٠/١) ، طبقات ابن سعد (٢٥٧/٦) ، وحلية الأولياء (٣٥٦/٦) ، وتهذيب التهذيب (١١١/٤ - ١١٥) ، الأعلام (١٠٤/٣ - ١٠٥) .

[الأعمال بالخواتيم]

وروى أن سلطان العارفين أبا يزيد البسطامى[٣٢] قـدّس الله سرّه السامى أخذ مرآة ونظر فيها فقال ظهر الشيب ، ولم يذهب العيب وما أدرى ما فى الغيب إيماءً إلى قوله : ﴿ **وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً** ﴾[٣٣] وإشارة إلى قوله عليه التحية والتسليم : « **إنما الأعمال بالخواتيم** »[٣٤] ، وامتحنه واحد من الفقراء فقال له : ألحيتك أفضل من ذنب الكلب ؟ فبكى وقال إن مت على الإسلام فلحيتى خير وإلا فذنب الكلب ، وكأنه تأمل قوله تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها**

---

(٣٢) **أبو يزيد البسطامى** : (١٨٨ - ٢٦١ هـ)

هو طيفور بن عيسى البسطامى ، أبو يزيد ، زاهد مشهور ، له أخبار كثيرة ، كان ابن عربى يسميه أبا يزيد الأكبر ، نسبته إلى بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) أصله منها ، ووفاته فيها ، قال المناوى : وقد أفردت ترجمته بتصانيف حافلة ، وفى المستشرقين من يرى أنه كان أول قائل بمذهب الفناء ، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية . (الأعلام ٣/٢٣٥) .

(٣٣) سورة لقمان الآية ٣٤ .

(٣٤) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد (٥/٣٣٥) ، والبخارى (٨/١٥٥) - مطولاً - من طريق أبى حازم ، عن سهل بن سعد به ، وفيه قصة .

وفى الباب عن معاوية وعائشة -رضى الله عنهما- .

ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ﴾[٣٥] ونظر فى قصة أصحاب الكهف : ﴿ وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ﴾[٣٦] .

[عاقبة الميل إلى الدنيا]

فقد ورد أن بلعم[٣٧] يتصور بصورة ذلك الكلب فيدخل النار ، والكلب يتصور بصورة بلعم فيدخل الجنة ، وقد كان بلعم بن باعوراء

---

(٣٥) سورة الأعراف الآية : ١٧٥–١٧٦ .

وتمام الآية :

﴿ ... إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ .

ونقل ابن جرير عن ابن عباس فى تفسير الآية قال : « كان فى بنى إسرائيل بلعام بن باعر أوتى كتاباً ، فأخلد إلى شهوات الأرض ولذتها وأموالها ، لم ينتفع بما جاء به الكتاب » .

قال ابن جرير : « ثم اختلف أهل التأويل فى السببْ الذى من أجله جعل الله مثله كمثل الكلب فقال بعضهم : مثّله به فى اللهث لتركه العمل بكتاب الله وآياته التى آتاها إياه وإعراضه عن مواعظ الله التى فيها إعراض من لم يؤته الله شيئاً من ذلك ، فقال جل ثناؤه فيه : إذا كان سواء أمره وُعظ بآيات الله التى آتاها إياه أو لم يوعظ فى أنه لا يتعظ بها ، ولا يترك الكفر به ، فمثله مثل الكلب الذى سواء أمره فى لهثه ، طرد أو لم يطرد إذا كان لا يترك اللهث بحال . اهـ .

انظر : جامع البيان عن تأويل آى القرآن لابن جرير الطبرى (٩/١٢٧–١٢٨) الطبعة الثالثة – مصطفى البابى الحلبى .

(٣٦) سورة الكهف الآية : ١٨ .

(٣٧) هو بلعام بن باعوراء ، كان يعلم اسم الله الأعظم ، وكان مجاب الدعوة ، وقد سأله قومه أن يدعو على موسى وقومه حين جاءوا ليفتحوا تلك البلاد ، فامتنع بلعام على قومه ، ولما ألحوا عليه ركب حمارة له ثم سار نحو معسكر بنى إسرائيل فأخذ يدعو عليهم فجعل لسانه يطيعه إلا أن يدعو لموسى وقومه ويدعو على قوم نفسه فلاموه على ذلك واعتذر إليهم بأنه لا يجرى على لسانه إلا هذا وقال لقومه ذهبت منى الآن الدنيا والآخرة ولم=

بحيث إذا نظر يرى العرش ، وكان فى مجلسه اثنى عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه العلم ، ولم يكن له إلا زلة واحدة مال إلى الدنيا وأهلها وهلة وطرق لولى من أولياء الله حرمة فسلب عنه المعرفة واستحق العقوبة المعجلة والمؤجلة .

[عاقبة النميمة والحسد]

وقد حكى أن تلميذ الفضيل بن عياض[٣٨] حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه ، وقرأ سورة يٓس فقال ياأستاذ لا تقرأ هذه فسكت ثم لقنه فقال : قل لا إله إلا الله ، فقال : لا أقولها لأنى برىء منها ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله ، وجعل يبكى أربعين يوماً لم يخرج من البيت ثم رآه فى النوم وهو يسحب به إلى جهنم ، فقال له : بأى شىء نزع الله المعرفة عنك وكنت أعلم تلاميذى ؟

قال : بثلاثة أشياء أولها النميمة ، والثانى الحسد ، والثالث : كان لى علة فجئت إلى طبيب فسألته عنها فقال تشرب فى كل سنة قدحاً من

= يبق إلا المكر والحيلة ، ثم أمر قومه أن يزينوا النساء ويبعثوهن بالأمتعة إلى قوم موسى لعلهم يقعون فى الزنا فإنه متى زنى رجل منهم نزلت عليهم اللعنة ، وانتصر عليهم وقومه ، ففعلوا وزينوا نساءهم فمرت إحداهن على رجل من عظماء بنى إسرائيل فواقعها فأرسل الله الطاعون على بنى إسرائيل حتى جاء فنحاص بن العزار بن هارون فقتلهما بحربته ورفعهما عليها فرفع الله عنهم البلاء .

ذكر العماد بن كثير هذا الخبر فى تفسيره ، وفى البداية والنهاية (٣٢٢/١) وذكره ابن جرير فى تفسيره (١٢٦/٩) .

(٣٨) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى اليربوعى ، أبو على : شيخ الحرم المكى من أكابر العباد الصلحاء كان ثقة فى الحديث أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعى ولد فى سمرقند ، ونشأ بأبيورد ، ودخل الكوفة وهو كبير وأصله منها ، ثم سكن مكة ، وتوفى بها (١٨٧ هـ) [الأعلام (١٥٣/٥)]

خمر فإن لم تفعل يبقى بك العلة فكنت أشربها » نعوذ بالله من سخطه الذى لا طاقة لنا به .

وكان سفيان الثورى [يقول] ما من أحد على دينه إلا سلب .

[إياك والاغترار]

وقال بعضهم : إذا سمعت بحال الكفار وخلودهم فى النار فلا تأمن على نفسك فى تلك الحالة فإن الأمر على الخطر ، ولا يدرى ماذا يكون من العاقبة ، وما الذى سبق لك فى السابقة ، ولا تغتر بصفاء الأوقات ، فإن تحتها غوامض الآفات .

وقال بعضهم : يامعشر المغترين بالعصم إن تحتها أنواع النقم ، زين الله إبليس بدقائق نعمته ، وهو عنده فى حقائق لعنته ، وزين بلعم بن باعوراء بأنوار ولايته ، وهو عنده فى أطوار عداوته .

وكان إبراهيم[٣٩] بن أدهم يقول كيف نأمن وإبراهيم الخليل يقول : ﴿ **واجْنُبْنِي وبَنِيَّ أن نَعْبُدَ الأصْنَامَ** ﴾[٤٠] ويوسف الصديق يقول : ﴿ **توفَّنِي مُسْلِماً وألْحِقْنِي بالصَّالِحِين** ﴾[٤١] .

---

(٣٩) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمى البلخى أبو إسحاق : زاهد مشهور ، كان أبوه من أهل الغنى فى بلخ ، فتفقه ورحل إلى بغداد ، وجال فى العراق والشام والحجاز وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة ، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن ويشترك مع الغزاة فى قتال الروم ، كان يصوم فى السفر والإقامة ، وينطق بالعربية الفصحى لا يلحن ، وكان إذا حضر مجلس سفيان الثورى وهو يعظ أوجز سفيان فى كلامه مخافة أن يزل . توفى سنة (١٦١ هـ) [الأعلام (٣١/١)]

(٤٠) سورة إبراهيم الآية : ٣٥ .

(٤١) سورة يوسف الآية : ١٠١ .

والحاصل أن الأمر مبهم ، والخطر معظم ، فلا يدرى أحد غير الأنبياء أنه من أى الفريقين فى قوله تعالى : ﴿ **فَرِيقٌ فِى الجَنَّةِ وفَرِيقٌ فى السَّعِيرِ** ﴾[٤٢] وفى قوله سبحانه : ﴿ **هو الذى خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ ومِنْكُمْ مُؤْمِنٌ** ﴾[٤٣] وفى قوله عز وجل : ﴿ **يوم تَبْيَضُّ وجُوهٌ وتَسْوَدُّ وجُوهٌ فأمَّا الذين اسْوَدَّتْ وجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بعد إيمانِكُم فَذُوقُوا العَذَابَ بما كنتم تكفُرونَ وأَمَّا الذِينَ ابْيَضَّتْ وجُوهُهُم ففى رحْمَةِ الله هُمْ فيها خَالِدُون** ﴾[٤٤] .

ومن هنا قال عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– : « لما كان بين خوف العقاب ورجاء الثواب لو قيل لى يوم القيامة لن يدخل الجنة إلا واحد أرجو أن أكون أنا وإن كان قيل لن يدخل النار إلا واحد أخاف أن أكون أنا » .

وتحقيق هذا المقام يستدعى الإطناب فى الكلام فلنعرض عن هذا المرام .

فإن قلت: الأولياء يسلم لهم فى أحوالهم، ولا يعترض فى أقوالهم ،

---

(٤٢) سورة الشورى الآية : ٧ .

(٤٣) سورة التغابن الآية : ٢ .

(٤٤) سورة آل عمران الآية : ١٠٦-١٠٧ .

قلت لا نسلم ذلك فقد اعترض شيخ الإسلام وقطب الأنام نديم البارى مولانا عبدالله الأنصارى[٤٥] على ما حكى عن أبى يزيد البسطامى أنه قال ذهبت من العرش وضربت خيمة مقابل العرش فقال لعله كذب عليه فإن هذا الكلام فى الشريعة كفر ، وفى الحقيقة بُعد وهجر .

ولقد ذكر القاضى عياض فى كتابه الشفاء أن فقهاء بغداد أيام المقتدر[٤٦] أجمعوا على قتل الحلاج[٤٧] ، وصلبه لدعواه الإلهية ، والقول

---

(٤٥) **عبدالله الأنصارى** : (٣٩٦-٤٨١ هـ)

هو عبدالله بن محمد بن على الأنصارى الهروى أبو إسماعيل : شيخ خراسان فى عصره من كبار الحنابلة ، من ذرية أبى أيوب الأنصارى ، كان بارعاً فى اللغة حافظاً للحديث ، عارفاً بالتاريخ والأنساب مظهراً للسنة داعياً إليها ، امتحن وأوذى وسمع يقول : « عُرِضت على السيف خمس مرات ، لا يقال لى ارجع عن مذهبك لكن يقال لى اسكت عمن خالفك ، فأقول : لا أسكت » من كتبه « ذم الكلام وأهله » ، وكتاب « الأربعين » فى التوحيد ، و « منازل السائرين » مطبوع ، و « سيرة الإمام أحمد بن حنبل » فى مجلد .

انظر : الذيل على طبقات الحنابلة (٦٤/١) ، والأعلام (١٢٢/٤) .

(٤٦) **المقتدر** : (٢٨٢ - ٣٢٠ هـ)

هو جعفر بن أحمد بن طلحة ، أبو الفضل ، المقتدر بالله ابن المعتضد ابن الموفق : خليفة عباسى ولد فى بغداد ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفى سنة (٢٩٥ هـ) فاستصغره الناس فخلعوه (سنة ٢٩٦ هـ) ونصبوا عبدالله بن المعتز ، ثم قتلوا ابن المعتز وأعيد المقتدر بعد يومين فطالت أيامه وكثرت فيها الفتن .

الكامل لابن الأثير (٨/٣-٧٥) ، تاريخ بغداد للخطيب (٢١٣/٧) ، الأعلام للزركلى (١٢١/٢) .

(٤٧) **الحلاج** (٣٠٩ هـ) هو الحسين بن منصور الحلاج ، أبو مغيث فيلسوف ، يعد تارة فى كبار المتعبدين والزهاد ، وتارة فى زمرة الملحدين ، أصله من بيضاء فارس ، ونشأ بواسط العراق (أوبتستر) ، وانتقل إلى البصرة ، وحج ، ودخل بغداد وعاد إلى تستر ، ظهر أمره سنة ٢٩٩ هـ ، وكان يظهر مذهب الشيعة للملوك (العباسيين) ومذهب الصوفية للعامة وهو فى تضاعيف ذلك يدعى حلول الإلهية فيه ، وكثرت الوشايات به إلى المقتدر العباسى فأمر بالقبض عليه ، قال ابن خلكان : وقطعت أطرافه الأربعة ثم حُزَّ رأسه=

بالحلول وقوله أنا الحق مع تمسكه فى الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته[٤٨] .

وقد اعترض الشيخ علاء الدين الديفلة السمنانى[٤٩] على ابن العربى[٥٠] فى قوله أوائل الفتوحات[٥١] سبحان من أوجد الأشياء وهو

= وأحرقت جثته ولما صارت رمادًا ألقيت فى دجلة، ونصب الرأس على جسر بغداد، وقال ابن النديم فى وصفه : كان محتالاً يتعاطى مذاهب الصوفية ويدعى كل علم ، جسوراً على السلاطين ، مرتكباً للعظائم يروم إقلاب الدول ويقول بالحلول .

البداية والنهاية (١٣٢/١١) ، تاريخ بغداد (١١٢/٨) ، لسان الميزان (٣١٤/٢) ، الأعلام (٢٦٠/٢) .

(٤٨) قال المصنف -رحمه الله- فى شرح الشفا (٤٧٤/٥) :

« قوله (وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول) كغيره من المتصوفة المتصفة بسمة الإسلام من الوجودية وغيرهم قالوا : إن السالك إذا وصل فربما حل الله فيه كالماء فى العود الأخضر بحيث لا تمايز ولا تغاير ولا اثنينية وصح أن يقول هو أنا ، وأنا هو مع امتناعه حقيقة لصيرورة أحد شيئين بعينه الآخر ، والآخر بعينه هو كحكم العقل ضرورة بدون احتياج إلى حجة ، ولا يمتنع مجازاً بأن يكون بطريق واحدة إما اتصالية كجمع ماءين فى إناء واحد واجتماعية كامتزاج ماء وتراب حتى صار طيناً ، وإما طريق كون وفساد كصيرورة ماء بالغليان هواء واحداً واستحالة أى تغير كصيرورة جسم بعد كونه سواداً بياضاً أو عكسه ، وهذا كله فى حق الله تعالى محال لتنزهه عن الحلول والاتصال والانفصال وما للتراب ورب الأرباب وإنما هو انعكاس نور من أنواره ، وسر من أسراره ، ويلمح فى قلب السالك المتصف بالتخلية والتحلية وكمال التصفية فقد يتوهم أنه حل فيه كما يتوهم الطفل أنه يرى الشمس فى الماء . اهـ .

(٤٩) كذا وردت بالمنسوخة ولم أجد له ترجمة .

(٥٠) الأصل فيه (ابن عربى) بالتنكير وهو غير أبى بكر بن العربى الإشبيلى المالكى من حفاظ الحديث من كتبه : « العواصم من القواصم » مطبوع جزآن ، و « عارضة الأحوذى فى شرح الترمذى » مطبوع ، و « أحكام القرآن » مطبوع وغير ذلك .

(٥١) من مصنفات ابن عربى ، واسمه « الفتوحات المكية فى معرفة أسرار المالكية والملكية » .

عينها[٥٢] وكفره بهذه المقالة وأمثالها وقد أوضحت هذه المسألة فى رسالة مستقلة[*] .

وقد صرح ابن المقرى[٥٣] فى الإرشاد[٥٤] أن من شك فى أن طائفة ابن العربى شر من اليهود والنصارى فقد كفر وقد صدق فى ذلك لأنهم سبب الضلالة ، وباعت الجهالة فيما بين المسلمين لا سيما وقد اشتهروا بأنهم من المتصوفين ، والعامة لم يفرقوا بين توحيد الملحد وتوحيد الموحد

---

(٥٢) قال المصنف : « وأنجس من النصارى طائفة ابن عربى حيث يقولون فى قوله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ إنما كفروا لحصرهم الألوهية فى ابن مريم بناء على أصلهم الفاسد أن الله عين الأشياء ، وضررهم على المسلمين أكثر من ضرر جميع الكفرة والمبتدعين فإن كثيرًا من الناس يعظمونهم ويسمعون كلامهم ، ويطالعون كتبهم ، ويتبعون مرامهم ، ويسمون رئيسهم بالشيخ الأكبر الذى يدعى أنه خاتم الأولياء ، وأنه يستفيض منه خاتم الأنبياء وشبه نفسه بلبنة ذهب ، وشبه سيد البشر بلبنة فضة ونحو ذلك . اهـ .

انظر : شرح الشفا للمصنف (٤٠٧/٥) .

(*) الرد على ابن العربى فى كتابه الفصوص وعلى القائلين بالحلول والاتحاد . مخطوط .

(٥٣) **ابن المقرى** (٧٥٥ - ٨٣٧ هـ)

هو إسماعيل بن أبى بكر بن عبدالله بن إبراهيم الشرجى الحسينى الشاورى اليمنى : باحث من أهل اليمن ، والحسينى نسبة إلى أبيات حسين (باليمن) مولده فيها ، والشرجى نسبة إلى شرجة (من سواحلها) والشاورى نسبة إلى بنى شاور (قبيلة) أصله منها ، تولى التدريس بتعز وزبيد ، وولى إمرة بعض البلاد فى دولة الأشرف ، ومات بزبيد ، له تصانيف كثيرة منها : « عنوان الشرف الوافى فى الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافى » مطبوع ، و « ديوان شعر » مطبوع ، و « الإرشاد » فى فروع الشافعية مطبوع ، وغير ذلك . [الأعلام (٣١٠/١-٣١١)]

(٥٤) هو كتاب فى فروع الشافعية اختصر به الحاوى ، وقد شرحه شيخ القارى ابن حجر الهيتمى وسماه « الإمداد فى شرح الإرشاد » .

فعليك بما قاله الجنيد[٥٥] سيد الطائفة وشيخ الطريقة أن طريقنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه فلا يقتدى به[٥٦] .

(٥٥) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادى الخزاز أبو القاسم : صوفى ، من العلماء بالدين ، مولده ومنشأه ووفاته ببغداد ، أصل أبيه من نهاوند ، وكان يعرف بالقواريرى نسبة لعمل القوارير ، وعرف الجنيد بالخزاز لأنه كان يعمل الخز وهو أول من تكلم فى علم التوحيد ببغداد ، وقال ابن الأثير فى وصفه : إمام الدنيا فى زمانه وعده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة ولكونه مصوناً من العقائد الذميمة محمىّ الأساس من شبه الغلاة ، سالماً من كل ما يوجب اعتراض الشرع ، له « رسائل » منها ما كتبه إلى بعض إخوانه ومنها ما هو فى التوحيد والألوهية ، والغناء ومسائل أخرى وله « دواء الأرواح » مخطوط .

وفيات الأعيان (١١٧/١) . وحلية الأولياء (٢٥٥/١٠) ، وصفة الصفوة (٢٣٥/٢) ، والأعلام (١٤١/٢) .

(٥٦) روى أبو نعيم هذا الأثر فى حلية الأولياء (٢٥٥/١٠) ولفظه : « علمنا مضبوط بالكتاب والسنة ، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به » اهـ .

وقد ورد عن الإمام مالك[٥٧] نظير ذلك حيث قال : من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق ، رزقنا الله حسن العقيدة والتوبة الصحيحة الوثيقة وتوفيق العلم النافع والعمل الصالح المقرونين بالإخلاص النافع وحسن الخاتمة فى آخر النفس الواقع بأن أقرن بين العلم اليقين ، والعين اليقين ، وقر عيننا بكشف مقام حق اليقين .

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

والحمد لله رب العالمين

آمين

---

(٥٧) **الإمام مالك** (٩٣- ١٧٩ هـ)

هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحى الحميرى ، أبو عبدالله : إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية ، مولده ووفاته فى المدينة ، كان صلباً فى دينه بعيداً عن الأمراء والملوك ، سأله المنصور أن يضع كتاباً للناس يحملهم على العمل به ، فصنف (الموطأ) مطبوع ، وله رسالة فى « الوعظ » مطبوع ، ورسالة فى « الرد على القدرية » و « تفسير غريب القرآن » .

انظر : تهذيب التهذيب (٥/١٠) ، وصفة الصفوة (٩٩/٢) ، والحلية (٣١٦/٦) ، والأعلام (٢٥٧/٥) .

تم التحقيق ولله الحمد والمنة

مصـادر التحقيـق

١ – البدر الطالع فى أعيان القرن التاسع : للشوكانى – دار المعرفة .
٢ – الأعلام : لخير الدين الزركلى – ط. دار العلم للملايين .
٣ – معجم المؤلفين : لرضا كحالة .
٤ – كشف الظنون : لحاجى خليفة .
٥ – المعجم الوسيط : ط. دار المعارف .
٦ – لسان العرب : لابن منظور – ط. دار صادر .
٧ – روح المعانى : للألوسى – دار إحياء التراث العربى .
٨ – شرح الفقه الأكبر : للملأ على القارى .
٩ – صحيح البخارى : ط. دار الحديث القاهرة .
١٠– صحيح مسلم : ط. دار إحياء الكتب العربية – محمد فؤاد عبد الباقى .
١١– سنن أبى داود : تحقيق د. عزت دعاس .
١٢– سنن الترمذى : تحقيق أحمد شاكر .
١٣– سنن النسائى : تحقيق عبد الفتاح أبو غدة .
١٤– سنن ابن ماجة : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .
١٥– مسند أحمد بن حنبل : المكتب الإسلامى .
١٦– عمل اليوم والليلة : للنسائى .
١٧– نظم المتناثر : للكتانى .
١٨– الطبقات الكبرى : لابن سعد – ط. دار التحرير القاهرة .
١٩– تهذيب تاريخ دمشق : لابن عساكر – ط. دار المسيرة .

٢٠- ميزان الاعتدال : للذهبى - ط. دار المعرفة - بيروت .
٢١- حلية الأولياء : لأبى نعيم الأصفهانى - ط. السعادة .
٢٢- المعجم الكبير : للطبرانى - تحقيق حمدى السلفى .
٢٣- المعجم الصغير : للطبرانى .
٢٤- تاريخ بغداد للخطيب البغدادى .
٢٥- وفيات الأعيان : لابن خلكان - ط. دار صادر .
٢٦- شذرات الذهب : لابن العماد .
٢٧- تفسير القرآن العظيم : لابن كثير - دار الشعب .
٢٨- جامع البيان - للطبرى - مصطفى البابى الحلبى .
٢٩- الجامع لأحكام القرآن : للقرطبى - مكتبة الرياض الحديثة .
٣٠- رسالة فى الكلام على قوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ : لابن رجب الحنبلى بتحقيقنا نشرته دار الصحابة للتراث بطنطا .
٣١- صحيح ابن حبان : ط. دار الكتب العلمية .
٣٢- تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلانى - ط. دار صادر بيروت .
٣٣- لسان الميزان : لابن حجر العسقلانى - مؤسسة الأعلمى بيروت .
٣٤- فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى - ط. الريان .
٣٥- البداية والنهاية : لابن كثير - ط. مكتبة المعارف بيروت .
٣٦- الذيل على طبقات الحنابلة : لابن رجب الحنبلى - دار المعرفة .
٣٧- الكامل فى التاريخ : لابن الأثير - ط. دار صادر .
٣٨- شرح الشفا : للملا على القارى .

٣٩- صفة الصفوة : لابن الجوزى - دار المعرفة .
٤٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
٤١- موسوعة أطراف الحديث لمحمد السعيد زغلول .
٤٢- المصنف لابن أبى شيبة : تحقيق الأستاذ عبدالخالق الأفغانى .
٤٣- المصنف لعبدالرزاق الصنعانى : المكتب الإسلامى .
٤٤- فردوس الأخبار : للديلمى - دار الكتب العلمية .
٤٥- الكامل فى الضعفاء : لابن عدى - ط. دار الفكر .
٤٦- الجرح والتعديل : للرازى - دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
٤٧- كنز العمال : للبرهان فورى - ط. مؤسسة الرسالة .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع ٢٢٩٥ / ١٩٩٢

الترقيم الدولى ٩٧٧ ـ ٥٢١١ ـ ٣٣ ـ ٦

مطابع الوفاء ـ المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٢١ ـ ص.ب ٢٣٠
تلكس . ٢٤٠٠٤ DWFA UN

صدر حديثا

العِقْدُ النَّفِيس

وَنُزْهَةُ الجَلِيس

لأبي منصور الثعالبي

المتوفى سنة ٤٢٩هـ

التحقيق والتعليق
بقسم التحقيق بالدار

دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر - والتحقيق - والتوزيع
شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
ت: ٣٣١٥٨١ ص.ب ٤٧٧